

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } ٢٦-٨-١٤٣٤

لقد امتن الله تعالى على عباده المؤمنين بالأخوة الإيمانية ، قال عز وجل : {
وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا } لقد عاش الصحابة رضي الله عنهم في ظلال هذه الأخوة عيشة سعيدة ، وضربوا
أروع الأمثلة في تثبيتها وترسيخها ، بيد أن ذلك لم يدُم حيث حرَّش شياطين من
الإنس والجن بين من جاء من بعدهم ، فظهرت الفرق والأحزاب التي يُكفر
بعضها بعضاً ، فعدت الأمة أشلاءً مُمزقة متفرقة ، كما قال الله عز وجل : {
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } .

لقد ظهرت في هذه العصور المتأخرة جماعات وأحزاب ، لكل منها أصوله
وتنظيماته الخاصة به ، والتي تخالف الباقين ، وغدا كلُّ منها يزعم أنه هو الحق

الذي يجب على كل المسلمين أن يلتزموا طريقته ، ويسيروا على منهجه ،
وبالتالي يُحذّر كلُّ منهم مِنَ الآخَر .

لقد اتُّخِذَتْ في هذه الفتنةُ الأهواءُ ، حتى أَنَّهَا تَجَارَى بأهلها كما تَجَارَى الكَلْبُ
بصاحبه ، فلم تَدَعْ منهم عِرْقاً ولا مفصلاً إلا دَخَلَتْهُ ، فَعُقِدَتْ أَلْوِيَةُ الْوَلَاءِ
والبراءِ على هذه الحزبيَّاتِ ، حتى غدا كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُونَ ، وَمِمَّنْ في
غير جماعتهم يُحَذِّرُونَ ، بل ويَتَّهِمُونَ ، ولو كان هو مِمَّنْ لَهِ اللهُ أَتَقَى ، وبِدِينِهِ أَعْلَمُ ،
بل ولو كان مِنْ قَبْلُ شَيْخَهُمْ وَمُعَلِّمَهُمْ ، فنَعُوذُ بِاللّهِ مِمَّنْ هذه حاله ، ونَسْأَلُ اللهَ
العافيةَ مِنْ مآله .

لاشكَّ أَنَّ بعضَ الْمُتَعاطِفِينَ لا يروق له الكلامُ في كشفِ عَوَارِ هَؤُلَاءِ
الحزبيينَ ، وتبيينِ خطرهم ؛ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ هذا يزيدُ الصِّفَ ضَعْفًا على ضَعْفِهِ ،
وهذا خطأٌ بَيِّنٌ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَذَّرَ مِنَ الْغُلُوِّ بِكُلِّ صُورَةٍ ، وكذا رَسُوْلُهُ ﷺ
، فَمَالَنَا لَا نُحَذِّرُ مِمَّنْ حَذَّرَ مِنْهُ اللهُ تَعَالَى وَرَسُوْلُهُ ﷺ !!؟

لقد حرص الإسلام على الأخوة الإيمانية، وحذّر من الفرقة ، قال الله { إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } . قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله : هذا عقدُ عقده
الله بين المؤمنين ، أنه إذا وُجِدَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ كَانَ فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا

الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين ، أخوة
توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ، ويكرهون له ما يكرهون
لأنفسهم ، ولهذا قال النبي ﷺ أمراً بحقوق الأخوة الإيمانية : " لا تحاسدوا ،
ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا يبيع أحدكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله
إخواناً المؤمن أخو المؤمن ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره " . وقال ﷺ :
" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " . وشبك ﷺ بينأصابعه . ولقد أمر
الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض ، وبما به يحصل التآلف
والتوَادد ، والتواصل بينهم ، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض ، فمن
ذلك إذا وقع الاقتتال بينهم الموجب لتفريق القلوب وتباغضها وتدابرها ،
فليصلح المؤمنون بين إخوانهم ، وليسعوا فيما به يزول شنائهم . ثم أمر بالتقوى
عموماً ، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله الرحمة ، فقال : {
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة ، ودل ذلك ،
على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة .

وقال سبحانه وتعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } . قال

العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى : أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله ، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين فإن في اجتماع المسلمين على دينهم ، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم ، وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور ، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدّها ، من التعاون على البر والتقوى ، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه ، ولو أدى إلى الضرر العام . اهـ

وقال الله عز وجل : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } . قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى على قوله سبحانه : { وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } : أي : ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه ، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزاباً ، وتكونون شيعاً يعاديبعضكم بعضاً مع اتفاقكم على أصل دينكم . اهـ

أخرج البخاري والترمذي والنسائي عن أنسٍ رضي الله عنه أنه قال : قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ ، فَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ عَلِمْتَ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا ، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقُهَا حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ . فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرْ مِنْ صُفْرَةٍ - طِيبٌ يُصْنَعُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ - ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَهِيْمٌ ؟ " - يعني : مَا شَأْنُكَ أَوْ مَا هَذَا ؟ - قَالَ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : " مَا سُقْتَ إِلَيْهَا ؟ " قَالَ : وَزَنَ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ : " أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ " .

ثمرات الأخوة في الله تعالى :

١ - تذوقُ حلاوة الإيمان ، والعيشُ عيشة السعداء : ففي الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ

يَكُونُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ،
وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ " . قال الحافظ ابن
حجر رحمه الله في "الفتح" : قوله : " وأن يحب المرء " . قال يحيى بن معاذ :
حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء .

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله في "الفتح" عند شرحه لهذا الحديث : فهذه
الثلاث خصال من أعلى خصال الإيمان ، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان
وطعم طعمه ، فالإيمان له حلاوة وطعم يُذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام
والشراب بالفم ، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب
غذاء الأبدان وقوتها ، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند
صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك ، بل قد يستحلي ما يضره وما
ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه ، فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من
أسقامه وآفاته ، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد

حلاوة الإيمان حينئذ ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان ، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي . اهـ

٢- نيل الأمن والسرور يوم القيامة ؛ حيث أن الله يظله بظله يوم القيامة : فعند الشيخين والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلی الله علیه وسلم قال : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَدْلٌ ، وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ " . قال النووي رحمه الله تعالى : " وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ " . معناه : اجتمعوا على حب الله وافترقا على حب الله ، أي كان سبب اجتماعهما حب الله ، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما . اهـ

٣- الفوز بمحبة الله تعالى :أخرج مالك في "موطئه" وأحمد في "مسنده" والحاكم في "مستدرکه" والطبراني في "معجمه" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا - يعني: أَبْيَضُ الثَّغْرِ حَسَنُهُ - ، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَرْتُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي ، فَاَنْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ لِلَّهِ ، فَقَالَ اللَّهُ ؟ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ ؟ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ ؟ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ ، فَأَخَذَ بِحُبُورَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ."

٤- إفشاء السلام : أخرج مسلم وأهل السنن عدا النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ : أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ."

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ ، قَالَ : فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَاطٍ - يعني : بائع المتاع الرديء - ، وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ ، وَلَا مِسْكِينٍ ، وَلَا أَحَدٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ ، قَالَ الطُّفَيْلُ : فَجِئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَوْمًا فَاسْتَبَعَنِي إِلَى السُّوقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ فِي السُّوقِ وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلَى الْبَيْعِ ، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السَّلْعِ ، وَلَا تَسُومُ بِهَا ، وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ ؟! قَالَ : وَأَقُولُ : اجْلِسْ بِنَا هَاهُنَا نَتَحَدَّثُ ، قَالَ : فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ - إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ ، نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَا . " قال النووي رحمه الله في " شرح صحيح مسلم " : قوله : " أفشوا السلام بينكم " : فيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم ، مَنْ عرفت ، وَمَنْ لم تعرف ، كما تقدم في الحديث الآخر . والسلام أول أسباب التألف ، ومفتاح استجلاب المودة . وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض ، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل ، مع ما فيه من رياضة النفس ، ولزوم التواضع ، وإعظام حرمان المسلمين وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال : " ثلاث من جمعهن فقد جمع

الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار ".
 روى غير البخاري هذا الكلام مرفوعاً إلى النبي ﷺ . وبذل السلام للعالم ،
 والسلام على من عرفت ومن لم تعرف ، وإفشاء السلام كلها بمعنى واحد .
 وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد
 ذات البين التي هي الحالقة ، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ، ولا يخص
 أصحابه وأحبابه . اهـ

أسباب الفُرقة :

١ - الزهد في العلماء : لقد ابتلي بهذا الداء العضال بعض من يعمل في الدعوة إلى
 الله تعالى ، حيث أخذ يطلب العلم من الكتب دون الرجوع للعلماء . بل لقد بلغ
 بعضهم الشطط إلى أن يُحذّر من مجالسة أهل العلم ، وهذا والله هو الحرمان ،
 وأيُّ حرمان أعظم من التزهيد فيمن يحملون ميراث النبوة ، ويالبُعدِ قائله عن
 المنهج القويم والصراط المستقيم !! ولكنها الحزبياتُ التي تصمُّ وتُعمي . فإلى
 الله المُشتكى . لقد أحسن أبو حسان النحوي رحمه الله تعالى حينما قال :

يظن الغُمر أنَّ الكتبَ تُجدي أخا فهِمٍ لا إدراكِ العلومِ

وما يدري الجَهلُ بأنَّ فيها غوامضَ حيرت عقلَ الفَهِيمِ

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم وتلبس الأمور عليك حتى تكون أضلّ منوماً الحكيم

إن طلب العلم على أيدي الراسخين في العلم مطلب شرعي ومنهج سلفي ، فقد أخرج أحمد وأبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ " .

وأخرج الترمذي في "جامعه" وصححه الألباني في "صحيح الجامع" عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَخَصَ بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ : " هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ " . فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ : كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ ؟ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنَقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ، فَقَالَ : " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ ، إِنْ كُنْتَ لِأَعُدَّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ ؟ قَالَ جُبَيْرٌ : فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ، قُلْتُ : أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ، إِنْ شِئْتَ

لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ ، الْخُشُوعُ ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ
جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا " .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : مِنْ أَعْظَمِ الْبَلِيَّةِ تَشْيِخُ الصَّحِيفَةِ . اهـ

فياباغِي الحق وطالبه : الزَّمْ غَرَزَ العلماء حتى الممات ، ولا تلتفت إلى
المُثْبِطِينَ عَنْهُمْ ، قيل للإمام أحمد - إمام أهل السُّنَّة والجماعة - رحمه الله تعالى :
إلى متى وأنت تطلبُ العلم ؟ قال : مِنَ الْمَحْبِرَةِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ .

٢- التعصب للأحزاب والفرق : إِنَّ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ يُوَفِّقَهُ لِاتِّبَاعِ
الْحَقِّ أَيْنَ سَارَتْ رِكَائِبُهُ وَحَطَّتْ مَطَايَاهُ . يقف مع الحجة لا يتجاوزها ، فشرعُ
الله عز وجل في قلبه ونفسه أعظم مِنْ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ هَوًى مُتَّبِعاً ، أَوْ قَوْلًا مُبْتَدِعاً
. ولا تطمح به عزَّة الرياسة ، وطاعةُ الإخوان ، وَحُبُّ الشهرة ، عن الرجوع
للحق متى لاحت له معالمه ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَرَشِدٌ ، يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ ، فَلَا تَأْخُذْهُ
فِي اللَّهِ جَلٍّ وَعِلًّا لَوْمَةً لَائِمًا ، وَلَا تَدْخُلْهُ مِنْ مُفَارِقٍ وَحِشَةٍ ، وَلَا تَلْفِتُهُ عَنِ الْحَقِّ
أَنَفَةً .

إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى مَصْدَرُ كُلِّ فِتْنَةٍ وَانْحِرَافٍ ، وَمَا اسْتَحْكَمَ فِي نَفْسِ أَيِّ شَخْصٍ إِلَّا
أَرْذَاهُ ، وَرَبَّمَا زَيْنٌ لَهُ الْحَقُّ بَاطِلًا ، وَالْبَاطِلُ حَقًّا .

- صاحبُ الهوى يَرُدُّ الحَقَّ إذا خالف هواه : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى": ولهذا تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً ويبغضون قوماً لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها ، بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولةً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ وسلف الأمة ، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها . وسبب هذا إطلاق أقوالٍ ليست منصوصةً ، وجعلها مذاهبَ يُدعى إليها ويوالى ويعادى عليها ، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته : " إن أصدق الكلام كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ " . فدينُ المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه ، وما اتَّفقت عليه الأمة . فهذه الثلاثة هي أصول معصومة ، وما تنازعت فيه الأمة رَدُّوه إلى الله والرسول . وليس لأحدٍ أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالى ويعادى عليها ، غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالى عليه ويعادى ، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة ، بل

هذا من فعل أهل البدع ، الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يُفَرِّقون به بين الأمة ، يُوالُّون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون . اهـ

وقال رحمه الله في "منهاج السُّنَّة النبوية " : وصاحب الهوى يُعميه الهوى ويصمُّه ، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ، ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون مع ذلك معه شبهة دين ، أن الذي يرضى له ويغضب له أنه السُّنَّة ، وهو الحق ، وهو الدين ، فإذا قُدِّرَ أنَّ الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام ، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته ، أو الرياء ليعظم هو ويشنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعاً ، أو لغرض من الدنيا ، لم يكن لله ، ولم يكن مجاهداً في سبيل الله . اهـ

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في " الصَّواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة " : السبب الثالث : (من أسباب قبول التَّأويل) : أن يعزو المتأول تأويله وبدعته إلى جليل القدر نبيه الذكر من العقلاء أو من آل البيت النبوي أو منحل

له في الأمة ثناء جميل ولسان صدق ؛ ليحليه بذلك في قلوب الأغمار والجهال ،
فإن منشأ الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم ، وأن يتلقوه بالقبول
والميل إليه ، وكلما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم ،
حتى إنهم ليقدّمونه على كلام الله ورسوله ، ويقولون : هو أعلم بالله ورسوله منا ،
وبهذه الطريق توصلوا لرافضة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية إلى تنفيق
باطلهم وتأويلاتهم ، حتى أضافوها إلى أهل بيت رسول الله ﷺ لما علموا أن
المسلمين متفقون على محبتهم وتعظيمهم وموالاتهم وإجلالهم ، فانتموا إليهم
وأظهروا من محبتهم وموالاتهم واللهج بذكرهم وذكر مناقبهم ما خيل إلى
السامع أنهم أولياؤهم وأولى الناس بهم ، ثم نفقوا باطلهم وإفكهم بنسبته إليهم
فلا إله إلا الله كم من زندقة وإلحاد وبدعة وضلالة قد نفقت في الوجود بنسبتها
إليهم وهم براء منها براءة الأنبياء من ألجتهم والتعطيل ، وبراءة المسيح من عبادة
الصليب والتثليث ، وبراءة رسول الله من البدع والضلالات . وإذا تأملت هذا
السبب رأيته هو الغالب على أكثر النفوس ، وليس معهم سوى إحسان الظن
بالقائل بلا برهان من الله ولا حجة قادتهم إلى ذلك ، وهذا ميراث بالتعصيب من
الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف ، فإنهم ملحسون ظنهم

بهم وتعظيمهم لهم آثروا ما كانوا عليه على ما جاءتهم به الرسل ، وكانوا أعظم في صدورهم من أن يخالفوهم ويشهدوا عليهم بالكفر والضلال ، وإنهم كانوا على الباطل ، وهذا شأن كل مقلد لمن يعظمه فيما خالف فيه الحق إلى يوم القيامة . اهـ

٣- التسرع في نشر الأخبار قبل الثبوت منها ومن جدوى نشرها : إنَّ العاقل اللبيب لا يتكلم إلا إذا ثبت من صحة كلامه ، فإذا ثبت لديه صحة الكلام نظر في جدوى نشره ؛ فإن كان في نشره حفز للخي واجتماع وألفة نشره وأظهره ، وإن كان الأمر بخلاف ذلك كتم الأمر وستره .

ولقد ورد النهي أن يحدث المرء بكل ما سمع . عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " . قال الإمام مسلم رحمه الله : وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنُ سَرْحٍ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : قَالَ لِي مَالِكٌ : اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ .

قال النووي رحمه الله: " وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ " :
معناه أنه إذا حدث بكل ما سمع كثر الخطأ في روايته فترك الاعتماد عليه
والأخذ عنه . اهـ^(٢)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : مِنَ الْغَلَطِ الْفَاحِشِ الْخَطِرُ قَبُولُ قَوْلِ
النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ يَبْنِي عَلَيْهِ السَّامِعُ حَبًّا وَبِغْضًا ، وَمَدْحًا وَذَمًّا . فكم
حصل بهذا الغلط من أمور صار عاقبتها الندامة ، وكم أشاع الناس عن الناس
أمورا لا حقائق لها بالكلية ، أولها بعض الحقيقة فنُميت بالكذب والزور ،
وخصوصاً ممن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل ، أو عُرف عنهم الهوى . فالواجب
على العاقل الثبُّ والتحرز ، وبهذا يعرف دين المرء ورزانتها وعقله . اهـ^(١)

٤- الحسد والبغي والغيرة : لقد امتدح الله أهل الإيمان فقال سبحانه : {
وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ
يُوَقَّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } .

قال أبو عمر ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله " : قال أبو حازم رحمه
الله : العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان

ذلك يوم غنيمة ، وإذا لقي من هو مثله ذاكره ، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه ، حتى كان هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع منه ؛ حتى يرى الناس أنه ليس به حاجة إليه ، ولا يذاكر من هو مثله ، ويزهى على من هو دونه ، فهلك الناس . اهـ

٥- حب الصدارة والإمارة : قال الله تعالى : { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } .
أخرج البخاري وأحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتْ الْفَاطِمَةُ " .
وأخرج أحمد والترمذي وقال الترمذي : حسن صحيح عن ابن كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حَرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ " .